

القرآن والأحرف السبعة

للدكتور: شوكت مكيان

١ - لغة القرآن

قبل البحث في موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف ، لابد أن نشير الى أن القرآن الكريم أنزل بلسان مبین . وقد نصت أكثر من آية على عربية القرآن . قال تعالى : « أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١) . « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (٢)

ولسان النبي - ص - هو العربية عامة ، وعربية لهجة قريش من اهل مكة خاصة ، لذا فالراجح أن يكون القرآن قد أنزل بلهجة قريش . وقد يكون في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣) ما يؤكد هذا الترجيح ، ويؤكد ما ورد من آثار في هذا الشأن :

جاء في سنن أبي داود أن عمر بن الخطاب كتب الى عبد الله بن مسعود ، وهو في الكوفة : « أما بعد : فإن الله أنزل القرآن بلغة قريش . فلذا أتاك كتابي هذا فأقرئه الناس بلغة قريش . ولا تقرئهم بلغة هذيل » (٤) .

وجاء في توجيهات عثمان الى اللجنة التي كلفت في عهد كتابة القرآن : « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » (٥) وقريش إحدى القبائل العربية ، وكان للقبائل الاخرى لغاتها ولهجاتها كهذيل ، وتميم ، وقيس ، واسد ، وطى ومن الطبيعي ان يوجد تباين لغوي في امور معينة بين تلك اللهجات العربية ، ولا يحول دون تفاهم افراد تلك القبائل » (٦) . ولذا لم يكن من العسير جدا على افراد القبائل العربية كافة قراءة القرآن الكريم بلسان قريش . واتما الذي سبب على بعضهم نطق القرآن نطقا مطابقا تمام المطابقة لنطق النبي - ص - لاعتياد السنتهم النطق بلهجات قبائلهم التي تشاؤوا وشبوا عليها ، فاصبح من غير اليسر تحويل سنتهم الى نطق آخر ، وان كان نطقا عربيا » (٧)

وقد ظهرت هذه المشكلة بصورة واضحة بعد الهجرة . حيث دخل في الاسلام افراد من مختلف القبائل العربية .

قال ابن قتيتة : « ولو ان كل فريق من هؤلاء امران يزول عن لثته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً ونائلاً وكهلاً ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه . ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتدريب للسان ، وقطع للعادة ، فاراد الله - برحمته ولطفه أن يجعل متسعاً في اللغات ، ومتصرفاً في الحركات » (٨) والمتسع الذي اشار اليه العلماء هو ورود حديث من رسول الله يدل على نزول القرآن على سبعة احرف ، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فالقرأوا ما تيسر منه ، وهو حديث مشهور ، روى عن كثير من الصحابة ، بالفاظ متقاربة ومعان متفقة . (٩)

٢ - حديث الاحرف السبعة :

جاء في الصحيحين عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله - ص - فاستمعت لقراءته . فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله - ص - فكنت اسأوره (١٠) في الصلاة . فتصبرت حتى سلم . فليته بردائه (١١) فقلت : من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : اقرأها رسول الله - ص فقلت : كذبت . فوالله ان رسول الله - ص قد اقرأها على غير ما قرأت . فانتظنت به القود الى رسول الله - ص فقلت يا رسول الله : اني سمعت هذا يقرأ « سورة الفرقان » على حروف لم تقرأها . فقال رسول الله - ص : هكذا انزلت ثم قال : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي اقرأتني . فقال رسول الله - ص : كذلك انزلت . ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فالقرأوا ما تيسر منه » .

٣ - حديث الاحرف السبعة بين الصعة والشذوذ

صح نقل حديث نزول القرآن على سبعة احرف عن رسول الله - ص - واشتهرت رواياته ، وتعددت اسانيده ، فقد وصلنا من طريق اربعة وعشرين صاحبياً (١٢) . وستة واربعين سنداً (١٣) . واورده البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وروى الحافظ ابو يعلى في مسنده الكبير ان

عثمان - رض - قال يوما وهو على المنبر اذكر الله رجلا سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشهد فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشهد معهم » (١٤)

وتوافق هذه الجموع الكثيرة التي يؤمن تواترها على الكذب ، حمل بعض الائمة على القول بتواتر الحديث ، وفي طليعة هؤلاء ابو عبيد القاسم ابن سلام - (١٥)

ومن الغريب ان بعض المستشرقين سلم في صحة هذا الحديث ، ودفعه بأنه « شاذ غير مستند » والاعراب من ذلك ان ينسب هذا الطعن الى أبي عبيد الذي قال بتواتر الحديث ، والذي اوقع « جولد تسهر » (١٦) في هذا الوهم - ان لم يكن الممد مع سبق الاصرار والترصد - هو ان أبا عبيد فسر الاحرف السبعة بسبع لغات من لغات العرب ، ثم ذكر حديثا آخر يفسرها بخروب من المعاني المختلفة : حلال وحرام ، وأمر ونهى ، وغير ما كان قبلكم ، وغير ما هو بعدكم ... وعلق عليه بقوله : ولنا ندرى ما اوجه هذا الحديث لانه غير مستند -

فاير عبيد دافع هذه الرواية من الحديث بالفساد ، ولم يصف أصل حديث الاحرف السبعة بالفساد ، ولكن جولد تسهر تلقفها منه ، وسرعان ما عصبها على جميع روايات حديث الاحرف السبعة -

ورفض بعض العلماء احاديث نزول القرآن على سبعة أحرف جملة وتفصيلا ، ودحا الى اعمالها ، وبعبارة اخرى الى رفض روايتها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعي انها لم ترد من طريق اهل البيت ، وانها مخالفة لصحيفة زرارة بن أعين عن أبي جعفر - ع - قال : « ان القرآن واحد ، نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجرى من قبل الرواة » وايضا فان الصادق - ع - حكم بكذب رواية الاحرف السبعة وقال : « ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد » ولكن فات المحقق الفوتى (١٧) ان صحيفة زرارة هذه هي خبر واحد ، وان الكليني رواها في النوادر (١٨)

واته من الصعب جدا التسليم بخبر واحد ، او بقول منسوب ، دون

سند يذكر ، في الوقت الذي لا نسلم فيه ، بل نرفض حديثا متواترا او مشهورا ، ورد الينا من طريق اربعة وعشرين صحابيا ، وستة وأربعين سندا .

واما القول بأن الروايات متوافقة لتناقضها : فمن التناقض ان بعض الروايات دل على أن جبريل اقر النبي - ص - على حرف ، فاستزاده النبي - ص - فزاده ، حتى انتهى الى سبعة احرف ، وهذا يدل على أن الزيادة بالتدريج في وفي بعضها أن الزيادة كانت مرة واحدة في المرة الثالثة ، وفي بعضها أن الله امره في المرة الثالثة أن يقرأ القرآن على ثلاثة احرف . وكان الامر بقراءة سبع في المرة الرابعة .

ومن التناقض أن بعض الروايات يدل على أن الزيادة كلها كانت في مجلس واحد ، وأن طلب النبي - ص - الزيادة كان بإرشاد ميكائيل ، فزاده جبريل حتى بلغ سبعا ، وبعضها يدل على أن جبريل كان ينطلق ويحود مرة بعد مرة (١٩) .

فيجاب عنه بأن التناقض هنا شككي ما دام مضمون الروايات واحد . وهو الامر أو الأخبار أو الترخيص بالقراءة على سبعة احرف ، وما يكون من شأن هذه الاختلافات الشكلية في الروتين كثيرة الطرق التي انتقل بها الحديث ، فلا معنى لهذه الكثرة ما لم توجد اختلافات يسيرة تنتهي دائما نهاية واحدة ، فالثابت هو هذه النهاية التي اجمع عليها هذا الجمهور من الرواة والاسانيد (٢٠) .

٤ - حكمة انزال القرآن على سبعة احرف

اجتهد العلماء والباحثون - قديما وحديثا - في التصرف على الفاية التي من اجلها انزل القرآن على أكثر من حرف ، فاهتدوا الى حكم كثيرة ، وغايات جليلة وفوائد عظيمة ، تذكر أهمها بإيجاز من كتاب مناهل القرآن (٢١) :

١ - التيسير على الامة الاسلامية كلها ، خصوصا الامة العربية التي شوهت بالقرآن ، فانها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات

ونبرات الاصوات ، وفي طريقة الاداء وشهرة بعض الالفاظ في بعض الدولات على الرغم انها كانت تجسمها العروبة ، ويوجد بينهما اللسان العربي العام ، فلو الزمت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليها .

للتخفيف على هذه الامة ، واردة اليسر بها ، والتهوين عليها شرقا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها ، واجابة لقصد نبيها افضل الخلق وحبيب الحق ، حيث اتاه جبريل فقال - ص - : « ان الله يامرک ان تقرأ أمّک القرآن على حرف » فقال - ص - « سأل الله معافاته وموئنته فان امتی لا تطيق ذلك » ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف « (٢٢)

٢ - جميع الامة على لسان واحد ، لسان قريش ، الذي انزل به القرآن الكريم ، والذي انتظم كثيراً من مختارات السنة القبائل العربية - التي كانت تختلف الى مكة في موسم الحج ، وفي امواق العرب المشهورة - بحيث اصبحت معان السنة القبائل العربية مستجمة في لسان قريش ، ومتشكلة فيه . مما اهلها لنزول القرآن بها . مصطلقيا ما شاء من السنة غيرها بهدف وحدة اللسان العربي العام ، حيث ان وحدة اللسان من اهم عوامل وحدة الامة .

٣ - بيان حكم من الاحكام ، كقوله سبحانه : « وان كان رجل يورث كلالة ، أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس » (٢٣) قرأ سعد بن وقاص : « وله أخ أو أخت من أم » فتيين بها ان المراد بالاخوة في هذا الحكم الاخوة لأم دون الاشقاء ومن كانوا الاب ، وهذا أمر مجع عليه .

٤ - الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين ، كقوله تعالى : « فاعتزلوا النساء في الحيض » ولا تقرّبوهن حتى يطهرن « (٢٤) قرئ به بالتخفيف والتشديد في حرف « الطاء » من كلمة « يطهرن » ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض ، لان زيادة المبنى تدل على زيادة المبنى . أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة : ومجموع القراءتين يحكم بأمرين :

أحدعنا . ان العائض لا يقربها زوجها حتى يحصل اصل الطهر ، وذلك بانقطاع الحيض . وثانيهما . انه لا يقربها زوجها ايضا الا اذا بالغت في الطهر . وذلك بالاستسبال . وهو ما ذهب اليه الامام الشافعي ومن وافقه .

٥ - الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حائضين مختلفين كقوله تعالى في بيان الوضوء : « فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرفق » وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » (٢٥) قرئ بنصب لفظ « ارجلكم » وجرها ، فالنصب يفيد طلب غسلها . لان المطف حينئذ يكون على لفظ « وجوهكم » المنصوب . وهو مفسول . والجر يفيد طلب مسحها . لان المطف حينئذ يكون على لفظ « رؤوسكم » المجرور . وهو ممسوح .

٦ - رفع توهم ما ليس مرادا كقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » (٢٦) وقرئ « ساءوا » الى ذكر الله . فالقراءة الاولى يتوهم منها وجوب السرعة فسي المثى الى صلاة الجمعة . ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم لان المثى ليس من مدلوله السرعة .

٧ - بيان لفظ مبهم على البعض ، نحو قوله تعالى : « وتكون الجبال كالهيكل المنفوش » (٢٧) وقرئ « كالصوف المنفوش » فبيئت القراءة الثانية ان المعنى هو الصوف .

٨ - ان تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والادلة القاطعة على ان القرآن كلام لله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله - صلى - عليه - وسلم . فان هذه الاختلافات في القراءة - على كثرتها - لا تؤدي الى تناقض في المقروء ، ولا الى تهافت وتضاد ، بل القرآن كله على تنوع قراءاته ، يصدق به بعضه بعضا ، ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض ، على نمط واحد في علو الاسلوب والتعبير . وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم ، وهذا من غير شك - يفيد تعدد الامجاز بتعدد القراءات والحروف .

٥ - معنى الاحرف السبعة

لم يصع من النسي - من - شرم في تحديد الاحرف السبعة . ولا في تعيين المقصود منها . لك اختلاف العلماء - قديما وحديثا - في تحديد المراد منها ، فكثير البحث فيها ، وتمددت الاراء في معناها ، حتى أوصلها بعض العلماء الى خمسة وثلاثين رأيا (٢٨) . وبلغ بها آخرون اربعين (٢٩) . واكثرها لا يؤيده نقل صحيح . ولا منطق مستقيم ونشأ الخطأ فيها ارادة التعمين على سبيل القطع والجزم . مع أنه لم يأت في معناها - كما يقول ابو بكر العربي - نص ولا اثر . واختلف الناس في تعيينها (٣٠) وسجمل آراء العلماء في معنى الاحرف السبعة في اتجاهين . ثم نفصل القول في كل اتجاه . مبينين اهم ما يندرج تحته من آراء .

الاول : أن المراد بالسبعة حقيقة العدد . وعليه أكثر العلماء .

الثاني : أنه ليس المراد بها حقيقة العدد . وإنما المراد السعة والتيسير وبه قال بعض العلماء .

الاتجاه الاول : -

عرفت أن أكثر العلماء ذهبوا الى أن المقصود بالسبعة في الحديث هو العصر . ولكنهم اختلفوا في تحديد تلكم الاحرف . واشهر الاراء في هذا الاتجاه هي :

١ - أن المراد بالاحرف السبعة . سبع لغات . لهجات . من لغات العرب متفرقة في جميع القرآن . فبعض نزل بلغة قريش . وبعضه نزل هذيل . وبعضه بلغة تميم . . وهكذا الى السبعة .

والى هذا الرأي ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وتبعه فيه ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠) واحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١) واختاره الازهري (ت ٣٧٠) (٣١) وتبعهم آخرون (٣٢) .

قال ابو عبيد قى - بيان رأيه : - قول : سبعة احرف . يعنى سبع لغات من لغات العرب . وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة

أوجه ، هذا ما لم تسمع به قط ، ولكن تقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قریش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ، ومعانيها في هذا كله واحدة . وفيما يبين ذلك قول ابن مسعود : اني قد سمعت القراء توجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم ، انما هو كقول احدكم : حلم وتعال . كذلك قال ابن سيرين : انما هو كقولك : حلم وتعال واقبل ، ثم فسره ابن سيرين ، فقال في قراءة ابن مسعود : « ان كانت الازقية واحدة » وفي قراءتنا : « ان كانت الازقية واحدة » (٢٣) فالمعنى فيها واحد . وعلى هذا سائر اللغات .

وقال ايضا : « ولا يكون المعنى في السبعة الاحرف الا على اللغات ، لا غير ، بمعنى واحد ، لا يختلف فيه في حلال ولا حرام ولا خير ولا غير ذلك » (٢٤) . واعترض ابن قتيبة وغيره على هذا الرأي ، وقالوا : لم ينزل القرآن الا بلغة قریش ، لقوله تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٢٥) وبان لغات العرب من سبعة ، وليس هناك ما يرجع لغة على لغة ، ولم ينقل نص صحيح في ذلك . فيكون اختيار اللغات السبع تحكم بلا دليل .

واستبعد ابن عبد البر ، أن يكون معنى سبعة احرف سبع لغات ، لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في اول الامر ، لان ذلك من لفته التي طبع عليها . وايضا فان عمر بن الخطاب وعشام ابن حكيم كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لفته (٢٦) .

٢ - ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة ، نحو اقبل ، وحلم ، وتعال ، وحبل ، واسرع ، وأنظر واخر ، وامهل . . . ذهب الى هذا الرأي سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) وعبد الله ابن وهب (ت ١٩٧) وابو جعفر الطحاوي (ت ٢٢١) وغيرهم (٢٧) .

وقال الطبري في بيان هذا الرأي : « السبعة التي انزل بها القرآن هي لغات سبع ، في حرف واحد ، وكلمة واحدة ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : حلم . واقبل . وتعال . واتي . والي . وقصدي . ونحوي . وقريبي . ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بخروج من المنطق ، وتتفق فيه المعاني ، وان اختلفت بالبيان به الالسن » .

واستدركه الطبري مقرراً : « انا لم تدع أن ذلك موجود اليوم ، وإنما أخبرنا أب معنى قول النبي - ص - : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » على نحو ما جاءت به الإخبار التي تقدم ذكرها ، وإن القراءة الآن على حرف واحد دون الستة الأخرى باختيار الأمة ذلك ٠٠٠ » (٣٨) .

وواضح أن هذا الرأي يعني أن الأحرف السبعة هي لغات سبع في الكلمة الواحدة ، وإن كل ما يقرأ به الآن هو حرف واحد من الأحرف السبعة ، وأما الأحرف الستة الباقية فمرفوضة بإجماع الأمة ، وكأنها كانت رخصة مؤقتة ، وأما الرأي السابق فقد فسرها بسبع لغات متفرقة في القرآن ، ورفض تفسيرها بسبعة أوجه ، لغات ، في الكلمة الواحدة .

قال ابن عبد البر : « اجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه وكلماته وأياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف : ولا شيء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتل أن تقرأ على سبعة أوجه إلا قليل ، مثل « وعيد الطافهوت » « وتشابه عليناه » (٤٠) و« عذاب يئس » (٤١) ونحوه ٤٢٠ »

وقد استغل بعض المستشرقين هذا الرأي في ادعاء أن القرآن تعرض للتخريف بسبب قراءة بالمعنى ، وقالوا : « إن نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية ، لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص ، يشته على ما يهواه » (٤٣) .

وفي هذا حمل للنصوص على غير وجهها الحقيقي ، فليست النظرية هنا مما يصح حقا أن يسمى « القراءة بالمعنى » (٤٤) ، كما نفهمه مثلا في رواية الحديث بالمعنى (٤٥) ، إذ « القرآن والقراءات حقيقتان متبايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد - من - للبيان والاعجاز ، والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتابته الحروف أو كيفيتها ، من تنغيف وتنقيط وغيرها » (٤٦) .

فإذا صح أنه - عليه السلام - وسع على المسلمين في أول الأمر ، وراعى التنغيف على المجوز والشيخ الكبير (٤٧) ، وأذن لكل منهم أن يقرأ عليه حرفه ، أي على طريقته في اللفظ ، لما يجده من المشقة في النطق بغير لفته ، فليس معنى هذا أنه كان يأن لهم باتخاذ هذه القراءات

وكثايتها على انها حروف نزل عليها القراء وادى فيها كانت توسعته عليه السلام - من هذا النوع من القراءة الا تمتعها على بعض الافراد في حالات خاصة . واما ما ادنى فيه من هذه الحالات باثباته والركعة الوحى عليه فهو محفوظ بطريق التواتر في احرف قليلة معدودة يرفض ما عداها . ولو جاء من طريق صحيح احادى . لان التواتر شرط في اثبات القرآنية (٤٨) . فنصميم هذه الحالات الفردية على جميع الاحرف السبعة كانها ضرب من القراءة بالمس لا يمكن ان يقتصر عليه في مهم الحديث (٤٩) -

٢ - ان المراد بالاحرف السبعة سبعة اوجه من اختلاف القراءات . في القرآن . اى انها لا تنوارد على الكلمة الواحدة . والى هذا الرأى ذهب ابن قتية (٢٧٦) وبذل جهدا في تصنيف وجوه القراءات على وفق منهجه هذا . والنص اثنه - مع اختلافات يسيرة - كثيرة من جاءوا بعده .

قال ابن قتية في بيان رايه : « وقد تدهرت وجوه الغلال فمضى القراءات لموجدها سبعة اوجه » (٥٠)

١ - الاختلاف في احراب الكلمة . او في حركة بانيها بما لا يربطها من صورتها في الكتاب ولا يغير معناها . كقوله تعالى : « من اظهر لكم » (٥١) وقرئت بالنصب : « من اظهر لكم » .

٢ - الاختلاف في احراب الكلمة وحركات بانيها بما يغير معناها . ولا يربطها من صورتها في الكتابة . كقوله تعالى : « ربما ياهد بين اسفارتنا » (٥٢) وقراءة . « ربما ياهد » .

٣ - الاختلاف في حروف الكلمة دون احرابها بما يغير معناها . ولا يربط صورتها . كقوله تعالى : « كيف نشرها » (٥٣) وقراءة . « نشرها » .

٤ - الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها . كقوله تعالى : « ان كانت الا صبيحة » (٥٤) وقراءة . « الا زقية » .

٥ - الاختلاف في الكلمة بما يربط صورتها ومعناها . نحو قوله تعالى : « وطلع سمود » (٥٥) وقراءة . « وطلع سمود » .

٦ - الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى : وجاءت سكرة الموت بالحق . (٥٦) . وقراءة : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٧ - الاختلاف بالزيادة والنقصان . نحو قوله تعالى : له تسع وتسعون نتيجة . (٥٧) . وقراءة : نتيجة اثني .

واستلزم ذلكا وكل هذه العيوب كلام الله تعالى . بل به لروح الاميس ، على رسوله - عليه السلام - فالحمد لله يقرأ . حتى حين ، يربى . حتى حين . لانه كان يحفظ بها ويستعملها . والاسدى يقرأ : تعلمون وتعلم . و . تسود وجوه . (٥٨) . و . السم اسمهم اليكم . (٥٩) . والتميسى يهر . والقرشي لا يهر . والاخر يقرأ : اذا قيل لهم . (٦٠) . و . غيص الماء . (٦١) . باشمام الصم مع الكسر . وهذه بصاحتنا ردت اليها . (٦٢) . باشمام الكسر مع الصم . و . مائك لا تأساء (٦٣) . باشمام الصم مع الادغام . وهذا ما لا يطوع به كل لسان (٦٤) .

وهذا التفسير من ابن قتيبة يعتمد في الواقع على ما في بعض روايات الحديث من اشارة الى اسباب اباحة القراءة عن سبعة احرف ، وصورة الخلاف بينها . ان جاز به قد صف وجوه لخلاف في القراءات . بادنا من اسهل صور الخلاف . متدرجا الى اكثر بعدا من القراءة المشهورة . (٦٥)

والثلاثة الاولى من وجوه الخلاف لا تناقص النص المجمع عليه في مصحف عثمان . والاربعة الاخيرة تحالف الرسم العثماني . اذا كان الخلاف من اولها سجعرا في احوال كلمة مكان كلمة بمصاها . وفي ثاميتها ابدال صوت من صرث . يتميز به امسي . وفي ثالثها مخالفة في ترتيب الكلمات من المجهود المشهور . وفي رابعها زيادة أو نقص من النص المشهور . وكل ذلك داخل في مفهوم لاحرف السعة . والمهم في نظر ابن قتيبة الا يبلغ الخلاف حد التصاد . والا خرج عنها . وحرمت القراءة بها . واسما يجوز ان يكون اختلاف ثامر . يعتمد به معنى النص ولا يشاقص (٦٦) .

الاتجاه الثاني : -

عرباً أن يعنى العلماء ذهبوا الى انه ليس المراد بالسبعة العصر ،
وانما التيسير والتسهيل والتوسعة *

قال ابن الحررى : « وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بحيث
لا يريد ولا يقصر ، بل المراد اسعة واتسيع ، وانه لا حرج عليهم في
قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث أن الله تعالى اذن لهم في ذلك »
والعرب يطلقون لفظ السبع والسمين والسبعائة ، ولا يريدون الكثرة
والمبالغة من غير حصر .. ، وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه » (٦٧) *

وقد مال الى هذا الرأي لقاصي عباس (ت ٥٤٤) (٦٨) ، واليه
تميل ، واختاره بعض المعاصرين * ومهم الدكتور عبد الصبور شاهين ،
وقد عرض الرأي عرباً مقنناً في كتابه « تريح القرآن » (٦٩) وهذا
ملخصه مهم الدكتور لاختياره هذا الرأي يذكر ثلاث ملاحظات عامة

قرر في الاول ، أن رسم الترخيص بقراءة القرآن على سبعة أحرف
لم يكن في العترة المبكية ، حيث كان مجموع المؤمنين كلا متجانساً ، أغلبهم
من قریش ، وعددهم محدود ، واتصالهم بالنبي ، اعلم الاول ، دائم ،
فهم من كل وجه - عدد ، ونوعاً ، وظرفاً - غادرون على تلاوة القرآن
صحيحة سادة من الغلط ، من هنا لم تنشأ اختلافات في النص القرآني ،
تحتم مواجهتها كمشكلة في هذه العترة . وإنما ظهرت خلال العترة المدنية
حيث كان المؤصوب في اردن ومن حتمه الفائل العربية ، فصلاً من
الاجتمع ابدى كان خطيئاً من العرب واليهود ، كذلك كانت اعتبار
المؤمنين تعاوت ، واكثرهم من الكفار لدى فانهم عهد التميم ، والنبي
فوق ذلك كله مشمول بمسئوليات هائلة في التوجيه والتنظيم ، والحكم ،
والجرب والسلام .. ، فلم يجد من السهل على كل مسلم ان يمشي القرآن
من السبي مباشرة بل من استطاع أن يظهر بقطعة او بقسمتين من فم
السبي فقد واثق خبر كثير ، ويقرأ بقدر ما تسمعه ذاكرته ، ولهيجته ،
في حدود ما علمه الرسول - ص - . هذه الظروف الجديدة هي التي
اقتضت من هذه الرخصة في تلاوة القرآن ، وهي موقوفة ببقاء مقتضاها

زائفة برهوال اسبابها ، اى يعود العيب الى مستوى من الاستقرار والتجاسس ،
قريب من مستوى المهد الكلى . وهو ما لم يحدث الا قبل عهد عثمان .

وقررتى الثانية ، اهم الاسباب الباعثة على الترخيص ، عنها :

أ - الاختلاف فى اللغة ، كالمصر وعصمه ، والامانة وسواها ، والفك
والادغام .. .

ب - الاختلاف فى بعض المفردات ، كقولك علم ، وتمال ، وأقبل .. .

ج - الاختلاف الناشئ عن العجز فى النطق بسبب صغر السن ، أو الشيخوخة ،
أو الجهل .. .

وقرر فى الثالثة ، ان الترخيص بقراءة القرآن على سبعة احرف ،
كان غير مطلق أى أنه ليس لكل فرد ان يقرأ القرآن على سبعة احرف ،
وانما يلزم كل فرد ان يقرأ ما لقنه معلمه - البنى أو أحد الصحابة دون
ان يحاول تقليد غيره فى قراءته اولا ، ودون ان يحاول فرض قراءته على
غيره ثانيا . ومن هنا كان تعصيه - من - لكل من قرأ بصحة ، يرمم
اختلافهم - وقال بعد ذلك : « هالدى ترجمه فى معنى الاحرف السبعة -
مايشمل اختلاف اللهجات ، وتباين مستويات الاداء ، الناشئة عن اختلاف
السن ، وتفاوت التعليم ، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض اللفاظ ،
وترتيب الجمل بما لا يقتضيه به المعنى » (٧٠) .

وبسبب ترجيحه هذا ، فى هدى ما من من ملاحظات ، وبمقدم ورود نص
أو اثر يحدد المراد من الاحرف السعة ، ولتقبل الصحابة - وهم اكثر
الناس معانة للمشكلة - الامر على انه من باب التوسعة والتيسير .

ان دلالة العدد هنا غير مرادة لداتها ، ومن مجانية التوفيق
ان يحاول حصر الاحرف السعة بسبع لغات مجتمعة أو متفرقة ، معينة أو
ثابتة ، أو ان يحدد مستويات معينة للاختلاف لتيسير المراد بالاحاديث ،
فكل ذلك خيوط يغير دليل (٧١) .

وبهذا يتفق الدكتور مع من يقول بالمعاد هذه الرخصة ، فى عهد
عثمان ، بعد جمع القرآن ، وكتابة المصاحف .

كما يتفق مع من يقول ببقاء روح هذه الرخصة الى اليوم ، يقرأ في حدودها المسجون من شتى الاجناس ، على اختلاف المستهم في الماضي والحاضر والمستقبل (٧٢) ، ولكنه لا يبعد ذلك من الاحرف السبعة ، بل من روح التيسير التي تميز به الاسلام (٧٣) .

خاتمة

في خاتمة بحثنا في هذا الموضوع الشائك ، أود أن اتبه الى امرين نسـ

اولهما بعد أن عرفنا أن الحكمة من ردول القرآن على سبعة احرف، هي التيسير والتسهيل ، ورفع لخرج عن فئات من المسلمين كانت تجد مشقة في قراءتها العصر القرآني ، على حسب نطق النبي - ص - نصيف - ها - أن تلك الرخصة كانت قاصرة على التلاوة ، ولم تشمل كتابة النص القرآني ، والنايات من روايات كتابة القرآن في حياة النبي - ص - أن كتبه الوحى كانوا يكتبون نص القرآن ، كما يحميه النبي - ص - بمسان قرشي ، أي أن الكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أوجه ، لسبب يديهي هو أن دلالة الاحرف السبعة لا يمكن صحتها في رمز خطي ، وقد ثبت عملية الكتابة في مكة بيد كتاب قرشيين ، وهي اندية بيد جماعة من الانصار، ولم تكن بين العين فروع تذكر ، (٧٤) .

ثم أن الصحف التي جمعت فيها القرآن في خلافة ابي بكر ، اعتمدت اساساً على ما كتب بين يدي النبي - ص - وهي حسب طقه واملائه . ولما ثبت عملية نسخ المصاحف من تكلم المصحف في خلافة عثمان ، كان التاكيد كبيراً ، على كتابتها على حسب نطق النبي واملائه .

فيكتابة المصاحف اذن ، كانت بعيدة عن اثار رخصة الاحرف السبعة ، ولها ما اب عمت تلكم المصاحف من الانصار حتى ترك الناس كل قراءة جاءت مخالفة لها أو لا يحتفلها رسمها (٧٥) .

وثانيهما : ليس المقصود بالاحرف السبعة قراءة معينة من القراءات التي نسبت الى قارئ معين بل أن الاحرف جاءت لتشير الى الرخصة التي نجد اثارها في وجوه القراءات - عامة - التي ثبت نقلها . اما ما يسمي

بالقراءات السبعة فإنها لم تعرف على هذا النحو إلا رأس المائة الرابعة من الهجرة . حيث اختار الامام ابو بكر احمد بن مجاهد (ت ٢٢٤) قراءة سبعة من ائمة القراء في الامصار الاسلامية . ووضع في قرائهم كتابه المشهور باسم « السبعة » (٧٦) -

قوائم البحث

- ١ - يوسف / ٢
- ٢ - النطن / ٢٨
- ٣ - ابراهيم / ٤
- ٤ - وانظر : ابن حجر / فتح الباري ج ٩ ص ٢٧
- ٥ - البخاري / الجامع الصحيح ج ٦ ص ٢٢٤
- ٦ - ٥ ابراهيم انيس / في اللهجات العربية ص ١٦
- ٧ - انظر ابن حجر / فتح الباري ٢٨/٩
- ٨ - تاويل مشكل لعرب القرآن ص ٢٨
- ٩ - انظر روايات حديث الاحرف السبعة في تفسير الطبري ج ١ ص ٢٩ وقد احصاها الدكتور عبد الصبور شاهين في ملحق كتابه تاريخ القرآن ص ٢٢٩ - ٢٤٥ وانظر ملاحظاته ونقد الاستاذين احمد ومحمود شاكرا لاسانيد وروايات الحديث ص ٢٥ - ٣٢ .
- ثم انظر : تكلم الاحاديث ووجه الاستشهاد منها في مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥ .
- ١٠ - ساوره : وثب عليه : اي كدت اثب عليه .
- ١١ - اللبب : موضع القلادة ، وما يشد من سيور السرج في اللببة .

واللغة : المنهر ، الفيروز ايلدي / القاموس المحيط/مادة لب

١٧- منهم : عمر ، وعثمان ، وابو بكر ، وابن مسعود ، وابن عباس ،
وابو سعيد الخدري وابن طلحة الانصاري ، وابي بن كعب ، وزيد بن
أرقم ، وسمرة بن جندب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمر بن أبي
سلمة ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وانس ، وحذيفة ...

١٢- السيوطي / الاتفاق ١ ص ٧٨ و د . عبد الصبور شاهين / تاريخ
القران ص ١٩٣ ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على
رأى المحقق الخوئي في كتابه/ تاريخ القران ص ٣٠ .

١٤- نفسه .

١٥- السيوطي / الاتفاق ١ ص ٧٨

١٦- مذاهب التفسير الاسلامي ص ٥٤

١٧- انظر : رأيه من روايات الحديث ونقده لها في كتابه البيان فسي
تفسير القرآن ص ١٩٣

ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على رأى المحقق الخوئي
في كتابه / تاريخ القران ص ٣٠

١٨- اصول الكافي ، كتاب فضل القرآن . باب النوادر - الروايتان ١٣ ١٣
وقد قرر شارح الروايتين ، الشيخ عبد الحسين المظفر في كتابه
الشافعي في اصول الكافي ، كتاب فضل القرآن ٧ ص ٢٢١ - ٢٢٢
أن الامام - ع - اما كتب ما فهم من المراد بالاحرف السبعة ،
اختلاف القراءة ، وان تكذيب الامام لا ينافي تفسير الحديث بسبع
لغات من لغات العرب او بغير ذلك - وعلى هذا فالامام لم ينف اصل
الحديث ، واما رفض تفسيره بتعدد القراءة ، وانظر : الزباني/
تاريخ القرآن ص ٣٥ - ٣٨ حيث اورد حديث الاحرف السبعة
واجتهد في شرح معناه .

١٩- المحقق الخوئي/ البيان ص ١٩٤ - ١٩٥

- ٢٠- انظر الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٢١
- ٢١- الزرقاني / مناهل العرفان ص ١٨ - ١٤٢
- ٢٢- النشر في القراءات العشر ص ١ من ٢١ والعديد جاء في الصحيحين
- انظر صحيح البخاري ص ٣ من ٢٢٦ وصحيح مسلم ص ١ من ٥٦١
- ٢٣- النساء/ ١٢
- ٢٤- البقرة/ ٢٢٢
- ٢٥- المائدة/ ٦
- ٢٧- القارة/ ٥
- ٢٨- الزركشي / البرهان ص ١٢٢ وقد نسبته الى ابي حاتم بن حبان البستي .
- ٢٩- السيوطي / الاتقان ص ١ من ٧٨ .
- ٣٠- الزركشي / البرهان ص ١ من ٢١٢ . وصحى الصالح/مباحث في علوم القرآن ص ١٠٣
- ٣١- الزركشي/البرهان ص ١ من ٢١٧ . وانظر : الزرقاني/مناهل العرفان ص ١ من ١٧٣
- ٣٢- السيوطي / الاتقان ص ١ من ١٣٥
- ٣٣- يسين / ٢٩
- ٣٤- قريب الحديث ص ٣ من ١٥٩ - ١٦١ من خاتمة قنوري حمد/ معاضرات في علوم القرآن ص ٢ من ٨٥

٣٥- ابراهيم / ٤

٣٦- الزركشي / البرهان ج ١ ص ٢٢٠ والسيوطي / الاثقان ١٣٤ .

٣٨- تفسير الطبري ج ١ ص ٥٧ - ٥٩ ، والزرقاني / مناهل العرفان
ج ١ ص ١٦٧

٣٩- المائدة / ٦٠

٤٠- البقرة / ٧٠

٤٢- الزركشي / البرهان ج ١ ص ٢٢٣

٤٣- الدكتور صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص ١٠٨ ، عن
عن المستشرق بلاشير في تاريخ الادب العربي .

٤٤- انكر ابن الجري في كتابه « النشر في القراءات العشر » القراءة
بالمعنى فقال : « اما من يقول بان بعض الصعابة ، كاهن مسعود يفر
بالمعنى فقد كذب عليه » . انما قال : نظرت القراء فوجدتهم متقاربين
فأقروا كما علمتم . »

٤٥- د صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص ١٠٧

٤٦- الزركشي / البرهان ج ١ ص ٣١٨ .

٤٧- يشهد لهذا « ما رواه الترمذي عن ابي بن كعب انه لقي رسول الله -
ص - جبريل فقال : « يا جبريل ، اني بعثت الى امه اميين ، منهم
المعجوز ، والشيخ الكبير ، والفلان ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ
كتابا قط » فقال « يا محمد ، ان القرآن انزل على سبعة احرف »
الزركشي / البرهان ج ١ ص ٢٢٧ .

٤٨- الزركشي / البرهان ج ٢ ص ١٢٥

٤٩- الدكتور صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص ١٠٨

٥٠- تأويل مشكل امراء القرآن ص ٢٨ - ٣٠ عن الدكتور عبد الصبور شاهين/ تاريخ القرآن ص ٣٣ - ٣٤ وانظر الزرقاني / مناهل العرفان ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢ وانظر : مقدمة ابن عطية ص ٢٦٤ - ١٦٥ .

٥١- هود / ٢٨ .

٥٢- البقرة / ٢٥٩

٥٤- يسين / ٢٩

٥٥- الواقعة / ٢٩

٥٦- ق / ١٩

٥٧- ص / ٢٣

٥٨- آل عمران / ١٠٩

٥٩- يسين / ٦٠

٦٠- البقرة / ١١

٦١- هود / ٤٤

٦٢- يوسف / ٦٥

٦٣- يوسف / ١١

٦٤- تأويل مشكل القرآن ص ٢٩ - ٣٠ وانظر / الزرقاني / مناهل العرفان ج ١ ص ١٥٥

- ٦٥- الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن من ٢٥
- ٦٦- السابق وقد اشار الى تاويل مشكل القرآن من ٣١
- ٦٧- النشر في القراءات العشر - ١ من ٢٥
- ٦٨- السيوطي / الاتفاق - ١ من ١٣١
- ٦٩- من ٣٩ - ٤٤
- ٧٠- د- عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن من ٤٣
- ٧١- نفسه -
- ٧٢- الدكتور ابراهيم انيس / اللهجات العربية من ٤٧
- ٧٣- تاريخ القرآن من ٤٤
- ٧٤- الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن من ٥٤ ، ٤٧ ، ٤٤
- والشيخ حسنين مفلوف / البيان في علوم التبيان من ٩٣ ، ٩٤
- ٧٥- انظر : غانم قنوري حمد / محاضرات في علوم القرآن من ٩٣ - ٩٤
- ٧٦- نفسه من ٩٨
- اهم مصادر البحث
- ١ - أجنثس جولد تسهر
- مذاهب التفسير الاسلامي ، مطبعة السنة المصدية ، مصر ١٩٥٥ ،
- ترجمة الدكتور عبد العليم النجاد -
- ٢ - السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي

البيان في تفسير القرآن ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاداب في النجف
٣ - عبد الحسين المظفر *

الشافي في شرح اصول الكافي ، مطبعة القرى الحديثة في النجف ،

٤ - الدكتور صبحي الصالح

مبحث في علوم القرآن ، الطبعة العاشرة ، دار العلم للملايين ،
بيروت *

٥ - عبد الحق بن عطية

مقدمة تفسيره المسمى الجامع المحرر ، تحقيق آرثر جعفرى ، وعبد
الله الصاوى ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الصاوى - مصر *

٦ - هاشم قنورى حمد

محاضرات في علوم القرآن ، مطبعة بالرونو

٧ - ابو عبد الله الزبيداني

تاريخ القرآن ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، مؤسسة الاعلمى ، بيروت
٨ - الدكتور عبد الصبور شاهين

تاريخ القرآن ، الطبعة الاولى ، دار القلم بيروت ١٩٦٦ م

٩ - ابو جعفر محمد بن جرير « الطبرى »

جامع البيان من تاويل القرآن - تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر
ومراجعة احمد محمد شاكر - دار المعارف ١٣٧٤ هـ *

١٠ - محمد بن عبد الله الزركشى

البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة
الثانية ، عيسى البابى الحلبي

- ١١ - محمد عبد المظلم « الزرقاني »
مناهل العرفان في علوم القرآن ، طبعة عيسى البابي الحلبي
- ١٢ - الدكتور ابراهيم انيس
في اللهجات العربية - الطبعة الثانية ١٩٥٢ والثالثة ١٩٦٥ م
- ١٣ - شمس الدين محمد ابن الجزري
النشر في القراءات العشر - نشر باشراف علي محمد الضباع ،
الطبعة الاولى .
- ١٤ - محمد بن يعقوب « الفيروزابادي »
القاموس المحيط ، مؤسسة الحلبي وشركاء - القاهرة .
- ١٥ - محمد بن عبد الله بن مسلم « ابن قتيبة »
تاويل مشكل القرآن - بشرح وتحقيق السيد احمد صقر - الطبعة
الاولى ١٩٥٤
- ١٦ - ابو حامد محمد « الفزالي »
المستعنى من علم الاصول ، للطبعة الاولى ١٩٣٧ م ، مطبعة
مصطفى محمد .
- ١٧ - عبد الفتاح القاضي
تاريخ المصنف ، مطبعة المشهد الحسيني .
- ١٨ - محمد فؤاد عبد الباقي
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار مطابع الشعب .

١٩- محمد بن اسماعيل « البخاري »

صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت •

٢٠- « مسلم » بن الحجاج القشيري

صحيح مسلم ، مطبعة محمد علي صبيح - مصر •

٢١- محمد حسين « مخلوف »

عنوان البيان في علوم التبيان ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م ، مطبعة
البابى العلبي بمصر •

يسر الدارة ان تنشر اعتباراً من عددها القادم الجزء الاول من
البحث الذي اعده الدكتور عبد الله محمد سندي عن المغفور له الملك
الشهيد فيصل بن عبد العزيز والتضامن الاسلامي

وقد سبق للباحث ان قدم هذا البحث باللغة الانجليزية في مؤتمر الملك
فيصل الذي عقد في مدينة سانت باربارا بولاية كاليفورنيا الامريكية ،
خلال الفترة من ٤ - ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ الموافق ١١ - ١٣ مايو
١٩٧٨ م .

والجدير بالذكر ان الدكتور عبدالله محمد سندي احد الكفاءات
الوطنية التي تعتز بها الدارة ، فقد حصل سعادته على درجة الدكتوراه ،
وأعد البحث من واقع رسالته العلمية .